المجلس العربي للعلوم الاجتماعية
Arab Council for the Social Sciences
Conseil Arabe pour les Sciences Sociales

# المجلس العربي للعلوم الإجتماعية
## سلسلة أوراق العمل

# العنف الذي "نعيشُ فيه": قراءة العنف في الميدان واختباره

– لميا مغنية –

ورقة عمل رقم 3

كانون الثاني/يناير 2019

# العنف الذي "نعيشُ فيه": قراءة العنف في الميدان واختباره

**– لميا مغنية –**

**سلسلة أوراق عمل المجلس العربي للعلوم الإجتماعية**

**ورقة عمل رقم 3**

**كانون الثاني/يناير 2019**

الرجاء إرسال المراسلات إلى:

لميا مغنية

زميلة في برنامج أوروبا في الشرق الأوسط، الشرق الأوسط في أوروبا (EUME) في منتدى الدراسات العابرة للأقطار (Forum Transregionale Studien)، برلين، ألمانيا

lamia@umich.edu

© المجلس العربي للعلوم الإجتماعية 2019
جميع الحقوق محفوظة

نشر هذا العمل لأول مرة في كانون الثاني/يناير 2019.

إنّ هذا العمل متوفّر تحت رخصة المشاع الإبداعي نَسب المصنَّف 4.0 دولي (CC By 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى بدون مقابل، شرط أن تنسب العمل لصاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر إسم المؤلّف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما قد أجريت أي تعديلات على العمل. للمزيد من العلومات، الرجاء مراجعة رابط الترخيص هنا: https://creativecommons.org/licenses/by/4.0

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا العمل هي آراء المؤلف/ة ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الإجتماعية، ولا تلزمه بها.

**لمحة عن سلسلة أوراق العمل**

تهدف سلسلة أوراق عمل المجلس العربي للعلوم الإجتماعية إلى نشر أوراق أكاديمية جديدة ومثيرة تخصّ المجال والمنطقة، واستعراض أفكار من خلال المناقشة العلمية. ويرحّب المجلس العربي للعلوم الإجتماعية بالأوراق التي تعالج مسائل ذات طبيعة موضوعية أو نظرية أو منهجيّة أو فنيّة، والتي تعتمد مقاربات إمبيريقية، أو نظرية، أو الإثنين معًا. ويستقبل المجلس العربي للعلوم الإجتماعية الأوراق باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية .

المجلس العربي للعلوم الإجتماعية
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان
هاتف: 009611370214
www.theacss.org | info@theacss.org

# العنف الذي "نعيشُ فيه": قراءة العنف في الميدان واختباره[1]

## ملخص

تستكشف كاتبة هذا البحث ما يمكن أن تقدّمه معالجة إثنوغرافية للعيش "في العنف" لفهمَنا لهذا العنف، وتصوّرَنا له، بناءً على الممارسات المعرفيّة الخاصّة بمجال المساعدات الإنسانيّة التي تستجيب لحالات العنف، والصدمات النفسيّة، والتي تتناول سياسات الألم أو المعاناة في لبنان. تُبيّن الكاتبة الحاجة إلى صياغة إطار نظري نقدي لتجربة "العيش في" العنف، مقابل التصويرات السائدة للعنف كتجربة منفردة نصادفها. تنتمي مسألة قراءة العنف في الميدان إلى مجموعة أعمال الخبراء الذين يشاهدون أو يصادفون العنف في الميدان (كمقدّمي/ات المساعدات الإنسانيّة، وعلماء الإثنوغرافيا، والمعالجين/ات النفسيّين/ات، والطواقم والعناصر العسكريّة)، وإلى المجتمعات التي تتعرّض للعنف، أي تلك التي تعيش "في العنف". ولكن في المقابل، يتبيّن أنّ ممارسةً كقراءة العنف في الحياة اليوميّة من شأنها أن تخدم عمليّة تحديد قابليّة العيش فيه وحالات التقلقل منه . كما أنّها تصبّ في خدمة التطبيع مع بعض التجارب العنفيّة، في وقت يتمّ إنتاج تجارب أخرى، كتلك التي تولِّد الصدمات النفسيّة. انطلاقًا من امثلة إثنوغرافيّة محدّدة وكتابات عدّة حول العنف، تسأل الكاتبة: كيف يمكن للمنهجية الإثنوغرافيّة التقاط تجربة العيش في العنف؟ وأين تكمن قيمتها التحليليّة؟ كيف تستطيع الإثنوغرافيا الخاصّة بقراءة العنف مساعدتنا في تعزيز فهمنا لمختلف تجارب العنف كأشكال متمايزة من إنتاج المعرفة؟

**الكلمات المفتاحية:** العنف، إثنوغرافيَّة الحرب، لبنان، العيش في، مصادفة، المعرفة المُختصّة، الصدمة النفسيّة

## مقدّمة: العنف في الميدان وميدان العنف

سنة 1991، وبعد مرور عام على انتهاء الحرب الأهليّة اللبنانية، أطلق خالد الهبر، موسيقي وكاتب أغنيات، أغنية "مش هيّن". والأسطر التالية مقبتسة منها:

مش هيّن أبدًا
مش سهل
تمشي عالرايق على مهل
ورصاص مطاول راسك، ودبّابة فوق مداسك
والعسكر داير من دار ت يلعنلك أساسك
مش هين أبدًا مش سهل
مش هين أبدًا مش سهل

خلال عملي سنة 2011 على بحثي الميداني حول الطبّ النفسي في مجال المساعدات الإنسانية، وحول العنف وسياسات الألم في لبنان، وجدتُ نفسي أقوم بربط هذه الأغنية، وبشكل متكرّر، بتجربة العيش في أجواء العنف خلال الحرب الأهليّة اللبنانية؛ فهي أغنية تكشف صعوبة العيش في مكان يعجّ بالمسلَّحين المُتخفّين، والدبّابات، والطلقات الناريّة التي تصدح في الشوارع. فكيف لأي أحد أن يمشي ويعيش في مكان مماثل؟ وإذا لم يكن العيش في العنف أمرًا سهلًا، كيف سيكون من السهل التقاطه من الناحية الإثنوغرافيّة؟

في أطروحة الدكتوراه التي عملتُ عليها، قمتُ بدراسة الممارسات المعرفيّة المتعلّقة بالعنف والمنبثقة من مجال الطبّ النفسي المُمارس في مجال المساعدات الإنسانيّة، وهو حقل تخصّصي حديث الولادة، يوظّف التشخيصات الطبّية-النفسيّة، والعلاجات، ورُزَم المساعدات، والجلسات التدريبيّة، لصالح تحويل العنف ونتائجه في مناطق النزاع وما بعد النزاع إلى مجال سيكولوجي. وفي صلب مجال الطبّ النفسي الخاص بحقل المساعدات الإنسانيّة، نجد فهمًا خاصًّا للعنف كمولِّدٍ للصدمة النفسيّة، وكجارحٍ للنفس، وكاسرٍ لسيرورة الحياة اليوميّة. أردتُ في أطروحتي التقاط كيف يحدّد الخبراء المختصّون في مجال المساعدات الإنسانيّة العنف في لبنان كصدمة، والبحث في ما إذا كانت عمليّة تحويله إلى مجال

سيكولوجي قد سبق لها وجذبت الجدال حولها، أو إذا ما تمّ الاستيلاء عليها أو تبنّيها من قبل مجموعات متنوّعة. في المقابل، وفي الوقت الذي احتلّ موضوع العنف محور دراستي، بدت تجاربي مع ما أسمّيه "العيش في" العنف - الذي يذكّر بعض الشيء بالظروف التي تتناولها أغنية الهبر - منفصلة عمّا كنتُ أبحث وأكتب.

في هذا المقال، أتأمّل في تجاربي المتعلّقة بالعيش في العنف، والتي، في أحيانٍ كثيرة، غَدَتْ منفصلة عن العنف كموضوع لدراستي. وفيما تميل الدراسات الأنثروبولوجيّة إلى تفضيل تجربة العنف المَعيشة في العمل التحليلي (Biehl & Moran-Thomas 2009, 270; Biehl et al. 2007; Good et al. 2008)، بقي إنتاج الأدوات الإثنوغرافيّة لالتقاط تجربة مماثلة محدودةً. في لبنان، ثمّة الكثير من المراجع التي تناولت العنف ودرست طبيعته الممتدّة عبر الزمن وتأثيره في حيوات الناس ( Makhlouf 1988; Tar Kovack 1986; Hermez 2017; Haugbolle 2010; Volk 2010). أعتمدُ كثيرًا على هذه الأعمال لاستنباط ميزة جديدة تُضاف إلى مسألة العنف، وتتمثّل في صنع الفرق بين العنف الذي نعيشه والعنف الذي نصادفه. أعطي هنا امتيازًا لتجارب العنف "التي نعيشها"، من دون أن أتجاوز الأهميّة التحليليّة لتجربة "مصادفة العنف" في الميدان. يشترك بعض الخبراء والباحثين/ات بتجربة "مصادفة العنف" التي تعبّر عن الموقع غير المُعلَن لمقدّمي/ات المساعدات الإنسانيّة والأطبّاء النفسيّين، والباحثين/ات الذين يصادفون العنف، في الميدان والعيادة، كحدث مفاجئ يصيب النفس ويجرحها ( Hacking 1995; Ghassem-Fachandi 2009). وبينما أركّز في هذا المقال على تجربة "العيش في" العنف، إلا أنّه يبقى من المهمّ التقاط تجربتَي "العيش في العنف" و"مصادفة العنف" كلتيهما معًا، وتسليط الضوء عليهما من الناحية الإثنوغرافيّة لما تتيحان من أدواتٍ تحليليّة تمكّننا من قياس الحوادث العنفيّة وتقييمها، لجهة مستوى إحداثها الصدمات النفسيّة او قدرتنا على عيشها وتحمّلها.

تتّخذ النقاشات حول المقاربات وإنتاج المعرفة الإثنوغرافيّة في الشرق الأوسط أشكالاً واتّجاهاتٍ مختلفة. وقد أصبحت تسمية "الشرق الأوسط" نفسها، مرّة أخرى، موضع تساؤل وسط فصول جديدة من النزاعات، وقمع الأنظمة، والحروب، وعمليّات النزوح والهجرة غير المسبوقة إلى أوروبا وغيرها[2]. تنبثق من هذا السياق الناشئ حاجةٌ طارئة لإعادة التفكير في دور الإثنوغرافيا في تقديم توصيفٍ متماسك لمكانٍ حيث العنف مُتوقَّع والعنف مَعيش (Hermez 2017; Khayyat 2013)، وفي إنتاج المعرفة حول "العنف في الشرق الأوسط"، في ظلّ خطابات وتمثيلات مشوّشة وغير ملائمة لوقائع العنف.

رغم بعض الانتقادات، لا تزال بعض الأسئلة البحثيّة الجدليّة حول العنف سائدة في المجال الأنثروبولوجي. أتذكّر بشكل خاص سؤالَين بحثيَّين اطّلعت عليهما خلال دراستي في مرحلة الدكتوراه، ووجدتُهما غريبَين جدًّا. أحدهما كان ذاك السؤال الشهير: "لماذا يقتلون؟"، وهو سؤال يعود إلى عمل إثنوغرافي عالج الإبادات التي حصلت في كمبوديا وهدف إلى البحث في الأسباب الكامنة وراء تحوّل الأشخاص إلى قاتلين جماعيّين (Hinton 2005). أمّا السؤال الثاني فكان: "لمَ لا تبكي الأمّهات عندما يموت أولادهنّ؟"، وكان الهدف منه البحث أكثر في الظروف الحادّة والقصوى الموجودة في البرازيل - وسط حالة الفقر المستشرس في المدن هناك (Sheper-Hughes 1992) - التي تُبعد الأفراد من تجربة الأشكال الاعتياديّة والمتوقَّعة للحداد والألم. صحيح أنّ الدراسات الأنثروبولوجيّة للعنف تجاوزت الحدود التي ترسمها مثل هذه الأسئلة (أنظر/ي مثلًا Valentine 1996; Thiranagama 2011; Das 2007)، إلا أنّ دراسات العنف لا تزال تعكس بعض المجازات السائدة التي تؤوّل العنف كـ: 1) أمر صودف فجأة؛ 2) أمر يؤدّي إلى استجابة عالميّة للألم.

فمثلًا، المراجع الأنثروبولوجيّة الخاصّة بالتجارب الإثنوغرافيّة للعنف - كـ *إثنوغرافيات تحت النار والعنف: لقاءات إثنوغرافيّة* (Nordstrom & Robben 1995) (Ghassem-Fachandi 2009) - تُقارِب العنف إمّا كقوّة تدميريّة وقاطعة تقع على هامش ما يُعدّ مسائل سياسيّة واجتماعيّة، أو كأمرٍ يُلاقيه الباحث/ة خلال العمل الميداني يُبعده من موضوع دراسته الإثنوغرافي. وقلّما تتناول هذه المراجع كيفيّة تطرُّق الإثنوغرافيا للعنف، لا لكونه قوّة تدميريّة فحسب، بل باعتباره أيضًا قوّة حياة اجتماعيّة تُحوّل الذاتيّات، والألم، والمكان، بطرائق مثيرة للاهتمام (Thiranagama 2011).

يقدّم هذا المقال استكشافًا أوّليًّا لكيفيّة مساعدة الإثنوغرافيا في اظهار الاحتمالات الاجتماعيّة والسياسيّة التي يفرزها العنف، وتأثيراته المسيئة. أقوم بذلك عن طريق تسليط الضوء على ضرورة وضع إطار نظري لتجارب العنف في لبنان ومساءلتها عبر لفت النظر إثنوغرافيًّا للطرائق المختلفة التي تقرأ وتقيس بها المجموعات العنف في الحياة اليوميّة، أو العنف اليوميّ. تشكّل قراءة العنف اليوميّ ممارسةً ينخرط فيها الأشخاص في لبنان ويألفونها. ولكن، لا تجد هذه القراءات طريقها إلى حقل المساعدات الإنسانيّة لتؤثّر مثلًا في المنظّمات والاختصاصات ذات الصلة به، مثل الطبّ النفسي، والتي تنتج ما يُسمّى بالمعرفة المُختصّة وتُقرّر بشأن برامج التدخّل والخطابات المرتبطة بالعنف.

انطلاقاً من نقاط الانقطاع ما بين العنف الممتدّ الذي أعيشه والعنف الذي أبحث فيه وأكتب عنه، أدعو إلى المزيد من الانتباه في معرض تحليل التأطيرات المختلفة للعنف، عن طريق تطوير طريقة إثنوغرافيّة لالتقاط تجربة العيش في العنف، يترافق مع طرح إشكاليّة التجربة الخاصّة بمصادفة العنف. أقترح مقاربة إثنوغرافيّة تكون حساسّة للطرائق التي تقرأ وتقيّم بها المجموعات العنف اليوميّ. وهذه الطرائق هي بمثابة نشاط يوميّ غير منفصل عن حالة العيش في العنف يساعد في فهم العنف وتصوّره بشقّيه، التدميري والتغييري، وبوَجهَيه، الجارح والمعتاد (Das 2007).

في القسم التالي، أتأمّل في تجاربي السابقة المرتبطة بالحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990)، وفي ما بعد حرب تمّوز سنة 2006. وقد ساعدتني تجاربي خلال تلك المراحل في انتقاد نموذج المساعدات الإنسانيّة المبني على "محور الصدمة"، والذي كان ديريك ساميرفيلد الأنجح في تلخيصه وعرض أبرز نقاطه: 1) تجارب الحرب والفظاعات الإنسانيّة تخلق فقط الصدمات؛ 2) الأحداث الضاغطة وشديدة الصعوبة تولّد استجابة إنسانيّة عالميّة مبنيّة على مبادئ علم النفس الغربيّة؛ 3) ضحايا الحروب المصابون بالصدمات النفسيّة في حاجة إلى مساعدة مهنيّة من خبراء؛ 4) تتحسّن أوضاع ضحايا العنف عبر "العلاج بالكلام"؛ 5) بعض المجموعات والأفراد يعانون أصلًا من الهشاشة وهم بشكل خاصّ محتاجون لدعم نفسي؛ 6) الحرب ظرف طارئ في مجال الصحّة النفسيّة؛ 7) مقدّمو/ات المساعدات الإنسانيّة هم بأنفسهم مغمورون جرّاء ما يشهدون عليه وقد يتعرّضون للصدمات النفسيّة أيضًا. صحيح أنّ أسئلتي البحثيّة متأثّرة إلى حدّ ما بتجارب مرتبطة بالحرب الأهليّة اللبنانيّة وحرب تمّوز، إلا أنّ الثورة السوريّة وأزمة اللجوء التي تبعتها سنة 2012 في لبنان أدخلت عليها الكثير من التعديلات وأخضعتها للتحوّلات.

في القسم الثاني من المقال، أصف حالة التنافر التي اختبرتها بين تجربتي في "العيش في" العنف عقب اغتيال وسام الحسن، رئيس فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي، عام 2012، وإنتاج المعرفة الخبيرة المتعلّقة بالعنف التي كنت منغمسة في البحث النظري فيها والكتابة عنها. ومن خلال هذا النقاش، أُبيّن الحاجة إلى صياغة إطار نظري نقدي لتجربة "العيش في" العنف، مقابل التصويرات السائدة للعنف كتجربة منفردة نصادفها.

## "العيش في" العنف و"مصادفة العنف" في الميدان:
## الصدمة النفسيّة وسياسات الألم في لبنان

تأثّر مشروعي البحثي مباشرةً بتجاربي السابقة مع الحرب الأهليّة في لبنان، ولكن بشكل أكبر، بتجاربي مع حرب تمّوز سنة 2006؛ وهي الحرب التي شنّتها إسرائيل على لبنان في تمّوز 2006 ودامت 33 يومًا، فأصبحت تسميتها الشائعة "حرب تمّوز". وكسائر الأشخاص من جيلي الذين أعرفهم ويمكن اعتبارهم أولاد الحرب الأهليّة اللبنانية، تعلّمتُ باكرًا كيف أتحضّر للعنف وأقيّم المخاطر. فباستطاعتي التمييز بين مسلّحٍ ميليشيوي خطير وآخر أستطيع محادثته والتفاوض والمزاح معه وحتّى تحدّيه والصراخ في وجهه. عرفتُ كيف أميّز بين الأنواع المختلفة من القصف والطلقات الناريّة. لاحقًا، تعلّمتُ كيفيّة التحضير للحرب ومواجهات الشوارع المقبلة: شراء الطعام، وبالأخصّ السجائر والخبز، سحب المال قبل إغلاق المصارف، تحديد أي غرفة في المنزل يمكن الاختباء فيها (وهي الغرفة التي تحتوى على العدد الأكبر من الحيطان والعدد الأقلّ من النوافذ)، شراء الشموع، ومتابعة إذاعات الراديو. تعلّمتُ شقَّ النوافذ وأبواب الشرفات لكي لا يتحطّم الزجاج بفعل الضغط الناتج من القصف.

المفارقة تكمن في أنّني لم أرَ أحدًا من أهلي يفقد أعصابه خلال الحرب الأهليّة أو أي حروب أخرى تلتها. وقد لا يمثّل والداي سائر اللبنانيّين في طريقة تعاملهما مع حالة العيش في العنف، ولكن يبقى أن اتّزانهما يعكس كيفيّة تعايشهما وغيرهما من الأشخاص مثلهما مع الحرب وتجاوزهم لها. ذات مرّة في أواخر الحرب، ذهبنا إلى مسبحٍ خارج بيروت خلال الصيف. ونحن نسبح، بدأنا نسمع أصوات القصف. وفيما هرعت العائلات إلى خارج المسبح لإزالة المياه عن الأجسام المبلّلة ومغادرة المكان، أصرّ أبي على وجوب بقائنا في المسبح، لنتعلّم من توجيهاته، التي اضطرّ إلى الهتاف بها بين القذيفة والأخرى لنتمكّن من سماعها، كيف نحلّل أصوات القذائف. وقد أجبرنا على الاستمرار في السباحة بما أنّ صوت القصف كان يدلّ إلى بُعدِه وإصابته مناطق أخرى. في النهاية، اضطرّ مالك المسبح إلى الطلب إلينا مغادرة المكان لأنّ جميع الزائرين كانوا قد غادروا وكنّا الأخيرين الباقين هناك. بالفعل، كان أبي محقًّا في تحليله لأصوات القذائف، ولكن أحدًا غيره لم يكن متعنّتًا في إصراره على الاستمرار في السباحة على وقع أصوات القصف الشديد. أثّرت هذه التجارب المبكرة في فهمي للحرب كحدث بإمكان الفرد التحضّر له، وتقييم مخاطره، والعيش فيه.

ما أعقب حرب تمّوز 2006 أدّى إلى عددٍ غير مسبوق من برامج التدخّل الإنسانيّة في لبنان، والتي شملت المساعدات النفسيّة، والتدخّلات الطارئة لمعالجة الصدمات النفسيّة. أتى ذلك، من جهة، نتيجة عوامل متشابكة عكست بمجموعها الهويّة الانسانية الجديدة وأخلاقيّاتها في حقل المساعدات الإنسانيّة، ومن جهة أخرى، الاعتراف العالميّ بأهميّة مداواة الجروح النفسيّة التي خلّفتها الحرب. وقد اعتمدت المنظّمات الإنسانيّة التي وصلت إلى لبنان على نموذج المساعدات الإنسانيّة المبني على "محور الصدمة"، والذي ينظر إلى العنف كحادثة مولِّدة للصدمة تجرح وتحطّم النفس البشريّة. ورغم كون أمّي عاملة اجتماعيّة في الصليب الأحمر اللبناني نشطت على مدى عقود عديدة، إلا أنّني لم أسمعها تتحدّث عن الصدمة النفسيّة واضطراب ما بعد الصدمة، إلا بعد الحرب الأخيرة. ذات يوم، عادت أمّي من عملها غاضبةً بعدما أمضت مناوبةً استمرّت 12 ساعة في ظلّ حالة طوارئ، وبدأت تصف كيف أوقف أفراد من قسم الشباب في الصليب الأحمر عملها عندما بدأوا يسألونها عمّا إذا كان بمقدورهم دعمها بما يشبه التدخّلات المُنفّذة لمعالجة الصدمات النفسيّة. تفاجأت أمّي وقتها: لمَ قد تحتاج إلى تدخّلات كهذه؟ كانت تقوم بعملها الذي أدّته هو نفسه خلال الحرب الأهلية وغيرها من الحقبات التي شهدت أحداثًا عنفيّة. مسائل الصدمة واضطراب ما بعد الصدمة لم تكن جديدة بالنسبة إلي أو إلى أمّي. ولكن، ولسبب ما، بدت لكلتينا خارج السياق.

صُوِّرت حرب تموز، إلى حدّ ما، كقوّة تدميريّة استنفدت موارد البلاد وخبراتها (Moghnieh 2015). ولكن، في الواقع، كانت مبادرات الدعم قائمة منذ اندلاع الحرب، تُقدَّم من خلالها المواد الغذائيّة وغير الغذائيّة للنازحين/ات، إلى جانب الدعم الطبّي والنفسي لدى الحاجة (Nuwayhid et al. 2011). وكما كان الأمر خلال الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 وعمليّة عناقيد الغضب عام 1996، كذلك تضافرت جهود الخبراء والناشطين/ات والطلّاب والأطبّاء اللبنانيّين والفلسطينيّين خلال حرب تمّوز عام 2006، لتنظيم العمل، وتقديم الدعم، من ضمن مبادرة "صامِدون"، التي شكّلت استجابة جماعيّة مُشتركة لحرب تمّوز 2006.

تطوّعتُ لمدّة وجيزة كمعالجة نفسيّة مع "صامدون" خلال حرب تمّوز. كنتُ أذهب إلى حديقة الصنائع، وهي حديقة عامّة في بيروت، لألعب مع أطفال الأهالي النازحين من الجنوب ومن ضواحي بيروت الذين لجأوا إلى الحديقة، كما سبق لهم ولجأوا إليها ومكثوا فيها خلال الاجتياح الإسرائيلي عام 1982. اقترحت المنظّمات الإنسانيّة الدوليّة وأطبّاء نفسيّون محلّيّون تعبئة استمارات خاصّة باضطرابات ما بعد

الصدمة، وفي بعض الأحيان، أدوية خاصّة بالصحّة النفسيّة والعقليّة، وإنشاء عيادة طبّ نفسي داخل الحديقة، لتكون بمثابة تدخّلات علاجيّة (مقابلة مع علا عطايا 2014). صديقتي وأنا نظّمنا آنذاك أنشطة ترفيهيّة للأطفال. في طريقنا للخروج من الحديقة، مسكت طفلة تبلغ أربعة أعوام من العمر بقميصي وهمست بأذني، "أُصيب أخي. تلقّى الضربة في رأسه وتمّ نقله إلى المستشفى، وبعدها جئنا إلى هنا". ابتسمَت، ثمّ ركضَت.

بالطبع كان هناك حالات ألم نفسي ومعاناة تصل إلى مستوى الصدمة النفسيّة. ولكن، ومن الناحية الخطابيّة لِكلا الطرفين، الضحايا والعاملون/ات معهم، لم تكن الحرب مساحةً لتوصيف الألم، إنّما للمقاومة والصمود في وجه العدوان الإسرائيلي. "صامدون" كان اسم المجموعة التي تطوّعت معها، والذي وصف أيضًا سبيل العيش خلال حرب تمّوز عام 2006. كان زمنًا للصمود في وقت كانت الحرب موجودة لتدميرك. وكان هناك انفصال واضح ما بين التشخيص النفسي الفردي "بالصدمة الناتجة من الحرب" الذي تبنّاه النموذج المبني على محور الصدمة التي اعتمدته المنظّمات الإنسانيّة (Summerfield 1999)، وتجارب المعاناة والمقاومة التي عاشتها المجموعات المتأثّرة بالحرب في لبنان. كانت النتيجة أن صَعُب على العديد من المنظّمات الإنسانيّة الدوليّة رصد الأشخاص الذين يعانون من آثار الصدمات النفسيّة بعد حرب تمّوز، وإيجادهم. تعرّضت منطقة في الضاحية الجنوبيّة لبيروت، حيث كانت صديقتي ديانا تقيم، إلى التدمير الكامل. وقد تحوّل المبنى والشقّة التي كانت تقطنها إلى أنقاض. بقيتُ على تواصل مع ديانا بعدما غادرنا البلاد لإكمال دراستنا بعد الحرب. تكلّمنا على التشابه في تجاربنا الخاصّة بالعيش خارج البلاد، وفي شدّتها. كنّا ننفر من نظرات التعاطف والاهتمام التي كان ينظر بها "الأجانب" إلينا، ومن تغيّر نبرة صوتهم حين كانوا يسألوننا عن الحرب، ومن الإجابة التي كانوا يتوقّعون سماعها. وقد تصرّفنا بلامبالاة (مقصودة أحياناً)، وأخبرناهم أنّنا لم نتأثّر. وغنيّ عن القول، إنّهم كانوا يتفاجأون بسلوكنا هذا.

كانت ديانا غاضبة جدًّا جرّاء فقدانها منزلها، ولكنّها لم تكن بالضرورة تعاني من صدمة نفسيّة. ففقدانها منزلها كان من إحدى النتائج التي كانت تتوقّعها خلال الحروب الإسرائيليّة على لبنان. علاوةً على ذلك، كان صمودها في وجه الدمار يشير إلى أنّها نجت من الحرب. مثّلت حالة ديانا حالات أشخاص آخرين لم تبدُ عليهم آثار الصدمة التقاهم أطبّاء نفسيّون عاملون في الحقل الإنساني في لبنان (Moghnieh 2016).

أُعيد بناء منزل ديانا والمباني في حيّها، وفي المناطق الأخرى في الضاحية وفي الجنوب، بسرعة قياسيّة بعد الحرب. وقد سعت خطط إعادة الإعمار إلى الحفاظ على المشهد المدينيّ نفسه الذي كان قبل الحرب، مع العلم أن حزب الله كان قد أعلن أنّ الضاحية الجنوبيّة لبيروت "ستعود أجمل ممّا كانت"، واعدًا بإعادة بناء المناطق السكنيّة والقرى التي دمّرتها الحرب. حين قدتُ سيّارتي داخل الضاحية الجنوبية لبيروت لأُقِلَّ ديانا التي كات تنتظرني في منزلها الجديد عقب موجة إعادة الإعمار بعد الحرب، لم أستطع تحديد مكان المنزل بسهولة. بدت المنطقة كما كانت عليه، ولكن في الوقت نفسه كان كلّ شيء مختلفًا بعض الشيء. انتابني هذا الإحساس الغريب الذي يأتي مع زيارة مكان تشعر/ين كأنه مألوف وغريب في آنٍ. هكذا مررتُ بتجربة عملية إعادة الإعمار، ليس فقط إعمار المباني، إنّما إعادة الإعمار النفسي والمجتمعي أيضًا.

عندما كنتُ في الولايات المتحدة، شعرتُ بالعزلة والاكتئاب إثر انتهاء الحرب. بدأتُ أسمع أصوات القطارات وأخالُها أصوات طائرات حربيّة. أرهقني إجبار الناس لي على التحدّث عن الحرب باستمرار، كحدثٍ صادم لا يُصدّق. تحسّن وضعي النفسي فقط بعد رجوعي إلى بيتي، بعد خمسة أشهر من انقضاء الحرب. قدتُ سيارتي نحو الجنوب. لاحظتُ كيف بدأ الدمار الذي طال معظم المناطق بالتلاشي ليُستبدل بخطط إعادة إعمار ومساحات فارغة حيث كانت توجد عمارة أو محطّة وقود في السابق. جلستُ مع أصدقائي في ليلة من الليالي لنحتسي المشروب ونتذكّر ونضحك على كل ما حدث في وقت الحرب. ضحكنا وشربنا جميعًا. أستذكر هذه الليلة كفرصتنا للتعافي، وللاطمئنان إلى أنّني نجوتُ وما زلتُ على قيد الحياة. في تلك الليلة، التأَمَت مشاعر الحزن والضيق التي كانت تغمرني والتي لم أكن قادرةً على مشاركتها مع الآخرين وأنا بعيدة من بلادي. وهذا الالتئام لم يحصل من خلال جلسات علاج نفسي، أو التحدّث عن "صدمتي"، ولكن من خلال مشاركة قصصنا الجماعيّة عن الحرب وما مررنا به معًا.

تُبيّن لنا تجارب الحرب هذه كيف تختلف تجربة العيش في أجواء العنف عن مصادفتها، حتى عندما تكون الحرب مفاجِئة وموجزة مثل واقعة حرب تمّوز عام 2006. تلفت هذه التجارب نظرنا إلى شكل من أشكال الألم الناتج من العنف الذي لا يكون بالضرورة مولِّدًا لصدمة نفسيّة، إنّما يصبح أمرًا يمكن الشفاء منها جماعيًّا. وتكشف أيضًا ماذا يعني أن تسكن/ي، بأحاسيسك ومشاعرك، مكانًا يسكنه العنف أيضًا، خصوصًا في مرحلة ما بعد إعادة الإعمار المجتمعي والمكاني الذي يسعى لاخفاء وطمّ العنف الذي اختبرناه. تتعارض تجارب العيش في العنف، وبشكلٍ عميق، مع الطرائق التي يحاول فيها الخطاب

الإنساني فهم العنف والتعامل معه كحادثة تُسبّب الصدمة وتصيب صلب الإنسان وتتطلّب تلقّي معالجة مختصّة (Summerfield 1999).

انطلاقًا من كل هذه التجارب، ركّزت أسئلة البحث التي اخترتُها آنذاك على محاولة لفهم تبعات "غياب الصدمة والمعاناة" في لبنان، وتبعات غياب إطار مفهوم وعالمي للمعاناة التي تولّدها الحرب (Butler 2009). بدأتُ مشروعي بدراسة السبل التي قاومت وصارعت بها المجتمعات في لبنان تصنيف المنظّمات الإنسانية لتجاربها مع العنف كتجارب صادمة، بالأخص في ما يتعلّق بالحروب الإسرائيلية.
لكن، وخلال قيامي ببحثي الإثنوغرافي في عام 2012، ظهرت حروب وأزمات جديدة تسبّبت بتنافر واضح آخر في الميدان. وهذه المرّة، كشف هذا التنافر تعدّد تجارب العنف في المجتمعات المختلفة في لبنان. مع نهاية عام 2012، بدأت جماعات طالبة للجوء تنتقل إلى لبنان، مثل اللاجئين/ات السوريين/ات والعراقيين/ات، هربًا من الحرب والعنف والتعذيب. ولّدت أزمة اللجوء السورية بالتحديد ظروفًا جديدة للمساعدات الإنسانية، والعنف، حيث احتلّت الصدمات النفسية، مرّة أخرى، محور الطب النفسي الذي تقدّمه المنظمات الإنسانية. ولكن في الحالة السوريّة، بات الموضوع مرتبطًا أيضًا، وبشكلٍ وثيق، بصفة الشخص كلاجئ/ة، والحق في الوصول إلى المساعدات. بدءًا من عام 2012، أخذ عدد "الوجود السوري" في لبنان بالارتفاع ليصل إلى مليون نسمة سنة 2015، بحسب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. أدّى هذا الارتفاع إلى إعادة إحياء مخاوف لدى المجتمع اللبناني، رافقها صعود ملحوظ للأشكال العلنيّة من التمييز والعنصرية ضد السوريّين/ات. ترافق تفاقمُ المخاوف والتمييز اتجاه السوريّين/ات بتحرّك كبير للمنظّمات الإنسانيّة التي بدأت بتغيير مسار مساعداتها الإنسانيّة لتلبية احتياجات اللاجئين/ات. أدّى ذلك إلى خلق تراتبيّة للمعاناة، وللمساعدات المقدّمة إلى المجتمعات اللاجئة الأخرى مثل الفلسطينيين/ات، والعراقيين/ات، والسوادنيين/ات، وأيضاً اللبنانيين/ات المتأثرين/ات بالحرب.

أصبحت تجربة العنف والتعبير عنها جزءًا من اقتصاد سياسي للمساعدات تعزّزه طريقة تصنيف الضحية، والحصول على اللّجوء، والوصول إلى الخدمات. تسبّب هذا الأسلوب بزعزعة السرد السائد حول المعاناة من العنف في لبنان - عن الصمود مثلًا - والذي وصفناه أعلاه. كما أدّى ظهور ظروف جديدة للعنف كانخراط حزب الله في الحرب في سوريا إلى زعزعة هذا الخطاب، لأنه اختلف عن الخطابات السابقة حول مقاومة الحرب والاحتلال الإسرائيليّين. فتحوّل بحثي الإثنوغرافي ليضمّ المواقف

المختلفة حول موضوع المعاناة وإدماجها مع بعضها (المعاناة المولِّدة للصدمة، المعاناة المقاوِمة، والمعاناة المُتعايشة مع العنف )، بدلاً من أن يقود إلى تغليب خطاب واحد سائد عن العنف في لبنان.
باختصار، عندما ننظر إلى تجارب العيش في العنف في لبنان، نرى أنها لا تتّسق مع الإنتاج المعرفي المختصّ في العنف والنموذج الإنساني لتشخيص الصدمة بناءً على تجربة مصادفة العنف. ثانيًا، إن الانقسام بين العيش في العنف ومصادفة العنف - كما حدث عند المحاولة على العثور على أشخاص مرّوا بصدمات خلال حرب تمّوز - إلى جانب إخلال الخطاب اللبناني السائد حول العنف، ساعداني على رؤية أهمّية تأريخ العنف الذي كنتُ أدرسه، ووضعه في السياق الصحيح لأتخطّى بذلك الخطاب المرتبط بلحظة معيّنة من الأحداث.

## العنف الذي نعيشه: قراءة العنف في حياتنا اليومية

في هذه الفقرة، أقوم بوصف حلقات العنف التي ظهرت في بيروت بين أواخر عام 2012 وعام 2014، الفترة التي عملتُ فيها على كتابة أطروحتي. تبيّن لنا القصة التي أشاركها هنا، وبتفصيلٍ أكبر، تعقيدات العيش في العنف، وكمّ الجهود المطلوبة لتقييم مستويات الخطر التي ينتجها العنف. قراءة مظاهر العنف في حياتنا اليومية والبحث عن علامات ومؤشّرات يساعداننا على العيش فيها، هي بمثابة أشكالٍ معرفية غير متناسقة مع الإنتاج المعرفي المتخصّص في العنف. وهذا ما يُظهر لنا أهمية استخلاص نظرية نقدية لتجربة العيش في العنف، إزاء التصويرات السائدة لتجارب مصادفة العنف.
جزء كبير من الانقسام الذي لمستُه عند كتابتي عن المعرفة المتخصّصة عن العنف يتعلّق بخروج واقع الاغتيالات، والانتحاريّين، والسيارات المفخّخة، والذي ظهر في نهاية عام 2012، عن الحوكمة النفسية الإغاثية لأن هذا الواقع خلخل الثنائيات المُحكمة بالحرب/ما بعد الحرب والطوارئ/التنمية، والتي تعمل ضمنها الإغاثة الإنسانية. يحدّد علم النفس والعمل الإنساني/الإغاثي ما يُعدّ ظلمًا أو صدمة في لبنان، ذلك لأن الظلم والصدمة يشكّلان مجالين رئيسَين للتدخّل، ويقومان بإنتاج كمٍّ هائل من المعرفة عن العنف في لبنان. ما يقع خارج النموذج هذا للحوكمة، يقع أيضًا خارج التصوّرات المؤسّساتيّة للمعاناة.

أدركتُ حدود الموقع الميداني لدى دراستي الإنتاج المعرفي عن العنف في ميدان إثنواغرافي شيّده العاملون/ات في المجال الإنساني. فهم أيضًا ينزلون إلى الميدان، وعليهم أيضًا أن يُعرّفوا ويعيدوا تعريف ما معنى ميدان العنف حتى يكون في استطاعتهم التدخّل. ولكن، يبدو وكأنّ الطرائق غير

الرسمية لقراءة العنف، والتجارب اليوميّة له التي يتم إنتاجها وصنعها على أساس أنها "عادية" ومألوفة، قد تمّ تجاهلها. أدعو في هذا القسم إلى إعطاء مزيد من الاهتمام إلى إثنوغرافية قراءة العنف في لبنان كطريقة لتطوير فهمٍ أحسن وتحليل للعنف على مستويات الخطاب والتجربة، ومستويات الإنتاج المعرفي المتخصّص وغير الرسمي. سأقوم بذلك من خلال مشاركة كتابة اثنروغرافية كتبتها خلال العام 2014، بعد فترة وجيزة من إكمالي البحث، سعيًا منّي لفهم هذه الأحداث.

## قنبلة (2012)

ذات يوم، كنت أحتسي القهوة مع زينة، بعد الظهر، في منطقة الحمراء في بيروت، عندما قاطع حديثنا صوت عالٍ وغير محدّد. نظرنا إلى بعضنا، متسائلتَين حول ما إذا كان علينا أن نقلق من الصوت. لم يكن من المعقول أن يكون صوت ألعاب نارية أو طلقات نارية إذ لم يتبعه أيّ صدى لأصوات مشابهة، وهذا كان أكثر ما أقلقنا، بالإضافة إلى كونه صاخبًا. لم يأتِ الصوت من منطقتنا، بما أنه كان عاليًا وغير معروف. ولكن، إذا كان عاليًا لدرجة أننا سمعناه في الحمراء، فهذا يعني أنه كان عاليًا جدًّا في المكان الذي وقع فيه. كلّ الإشارات كانت تؤشر إلى احتمال واحد، بأنه انفجار قنبلة. قبل أن نتمكّن من مشاهدة الأخبار، كان جميع مَن في المقهى يتحدّث عن انفجار في منطقة الأشرفية.

انفجار آخر! شاعرةً باليأس، قرّرَت زينة العودة إلى منزلها ومشاهدة الأخبار على التلفاز. كانت لدي خطط بالذهاب إلى الأشرفية لاحقًا في اليوم نفسه لتسريح شعري. لم أكن أعرف ما إذا كان عليّ إلغاء موعدي أو الذهاب في كلّ الأحوال. ما هو حجم الانفجار؟ إلى أي درجة كان مخيفًا في الواقع؟ قرّرتُ أن أتابع قراءة الأخبار على الإنترنت. ربما كان انفجارًا صغيرًا يسمح لي بأن أكمل يومي كما خطّطتُ له.

بدأت الأخبار تنهال علينا.

الانفجار كان من الانفجارات الكبيرة، وقد وقع في شارع سَكَني في الأشرفية. عمارات عدة تضرّرت بشكل سيئ والسيّارات احترقت. شعرتُ بالتوتر وبنفاد طاقتي. هل أكلّم أصدقائي وعائلتي لأطمئنّ إليهم مرّة أخرى؟ أعرف العديد من الأشخاص الذين يعيشون بالقرب من مكان التفجير... تساءلتُ، وأنا أحسُّ

بقلقٍ من شعوري بالألفة، وبأنّني معتادة على سماع مثل هذه الأخبار: هل يمكن أن يكون أحد الأشخاص الذين أعرفهم قد تضرّر نتيجة الانفجار؟ هل من الممكن أن أتعامل مع الموضوع بلامبالاة؟ قرّرتُ أن أرسل رسالة نصية إلى أحد أصدقائي. أدركتُ أنّ الاتصال بالأصدقاء لن ينجح لأن خطوط الاتصال ستكون كلّها منشغلة، وهذا العائق من إحدى المشكلات التي نواجهها كلّما وقع انفجار في بيروت. أرسلتُ رسائل نصيّة عدة لتصل بعد مدّة من إرسالها.

- هل أنت على قيد الحياة؟
- نعم، هل أنتِ على ما يرام؟

قرّرتُ أن أحصل على قصّة شعرٍ في النهاية. علقت في الزحمة وأنا في الطريق إلى الأشرفية. الناس حولي في السيارات الملاصقة كانوا يسمعون الأخبار على الراديو. أدار أصحاب المتاجر أجهزة التلفزيون وكانوا يتابعون معًا، موظّفين وزبائن، بصمت، التغطية الإخبارية للانفجار. تسبّبت سيارة مفخّخة بالانفجار. استهدفت العملية رئيس فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي، وسام الحسن، وأدّت إلى مقتله، وهو في الطريق بعدما غادر إحدى الشقق في منطقة الأشرفية.

المعلومات كانت مرعبة. ليس بسبب القنبلة نفسها، ولكن بسبب الشخص الذي استهدفته هذه القنبلة: مسؤول رفيع المستوى من السلك الأمني. من المعروف أن التبعات السياسية لمثل هذا الاغتيال قد تؤدّي إلى المزيد من العنف. ولكن من ناحية ثانية بدت الأخبار مطمئنة في الوقت نفسه. لم تكن القنبلة عشوائية. ولم تستهدف حيًّا سكنيًّا مسيحيًّا في الأشرفية بهدف قتل المدنيّين/ات بشكل عشوائي على خلفيّة طائفيّة. من هذا المنطلق، لم تكن القنبلة "قنبلة حرب أهلية،" ولكن بالأحرى، كانت تتبع سلسلةً جديدة من الاغتيالات السياسيّة التي بدأت مع اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري في عام 2005. لحقت مسارًا سياسيًّا معروفًا. كانت تحمل القنبلة رسالة سياسيّة، لأنها كانت عملية اغتيال سياسي محتواة، مخطّطًا ومنظّمًا لها، وليست قنبلة عشوائية كانت تستهدف المدنيين/ات لخلق الفوضى والاضطراب.

وصلتُ إلى الصالون متأخّرة، فلم أجد أحدًا. فجأةً، شعرتُ بالإحراج من قراري بالمباشرة بخططي لقص شعري بدلاً من إلغاء موعدي رغم وقوع انفجار للتو وقع نتيجته ضحايا، وأرهب الناس في منطقة لا تبعد كثيرًا من موقع الصالون. التلفاز كان يبثّ صورًا للانفجار، ولناس يبحثون عن أحبّائهم، ولمشاهد

الدمار. وهو يقوم بقص شعري، أفادني مصفّف الشعر بآخر المستجدّات حول الانفجار: قُتل 8 أشخاص وأُصيب أكثر من 50.

بعد انتهائي من تصفيف شعري وحصولي على تسريحة جديدة، أحسستُ برغبة في البكاء وأنا في طريق العودة إلى البيت. "زهقت" القنابل والانفجارات. عدتُ إلى البيت وقرّرتُ أن لا مفر من مشاهدة التلفزيون، مثل صديقتي زينة. رغم أنّ تفاصيل الانفجار أصبحت مألوفة، كان عليّ فهم الرسالة السياسيّة المرافِقة له: ماذا كانت تقول القنبلة؟ هل كانت مشابهة للقنابل التي سبقتها؟ أو هل كانت لديها القدرة والطاقة على زعزعة استقرار البلد؟ كان أهلي خارج البلد، وأصبحتُ لوحدي مسؤولةً عن الاهتمام بالمنزل في غيابهم. الثلّاجة كانت فارغة، باستثناء عدد قليل من الأغراض. هل يجب أن أتبضّع وأقوم بشراء المزيد من الطعام، ذلك أنّ الأمور يمكن أن تحتدم في اليوم التالي؟ هل ستغلق التظاهرات الشوارع؟ ماذا عن خططي بالخروج مع أصدقائي غدًا؟

بدأت النشرات الإخباريّة تبثّ التحليلات السياسيّة والأحداث مباشرةً من الميدان. كان موقع الانفجار مدمّرًا أكثر من المواقع التي اعتدنا رؤيتها في الانفجارات السابقة. لكن التغطية الإعلاميّة والصور المبثوثة أضحَت كمشاهد ونصوص مألوفة بالنسبة إلينا. في الوقت الذي أغلقت فيه الشرطة المكان وبدأت عمليّات الإنقاذ، تحوّل مكان الانفجار إلى مركز لجمع المعلومات من قبل مختلف الخبراء. تمحورت الأسئلة حول القنبلة نفسها والرسالة السياسيّة التي حملتها:

"ما نوع القنبلة؟" و"أين زُرعت؟" و"كم كان وزنها؟" و"هل حدّدنا أشخاصًا مُشتبهًا فيهم؟" و"ما كبر الحفرة التي تسبّبت بها القنبلة؟" و"من يمكن أن يكون مستفيدًا من مقتل الحسن؟" و"ما هي رسالة القنبلة؟" كان هذا النصّ، المألوف، خاصًّا "بزيارة موقع الانفجار"، حيث يذهب السياسيّون والوزراء للإدلاء بتصريحات عن القنبلة والاغتيال.

في اليوم التالي بعد الاغتيال، تمّ إغلاق معظم الشوارع والمحلات التجاريّة تعبيرًا عن الغضب. حافظت قوّات الجيش على وجودها في مناطق معيّنة من بيروت حيث يُحتمل أن تندلع اشتباكات، ومن بينها المنطقة التي أقطن فيها. اتّصلتُ بأصدقائي الذين يسكنون بالقرب مني ودعَوتُهم إلى منزلي. وصلوا إلى بيتي ومعهم زجاجات النبيذ والسجائر. أمّا أنا فشويت بعض شرائح اللحمة التي كنتُ أحفظها في الثلّاجة.

سمّينا الحفلة "حفلة المعافاة من العنف". شربنا وشاهدنا الأخبار ونحن نصرخ ونضحك ونعلّق على ما نشاهد. قرّرنا أن "نخاطر" في المساء ونخرج لتناول العشاء. وأنا في طريقي إلى المنزل الساعة الرابعة صباحًا، محاوِلةً أن أجد طريقًا مفتوحًا وآمنًا، رأيتُ أنّ شاحنة للجيش قد أغلقت طريق سليم سلام المؤدّي إلى منطقة بالقرب من منزل أهلي. سألتُ الضابط العسكري إن كان المرور من الطريق المذكور للعودة إلى المنزل آمن. أجابني بلامبالاة: "هذه مشكلتكِ، أنت تعاملي معها". ضحكتُ ولوّحتُ له بيدي. كان صديقي الثمل معي داخل السيّارة. بيته في طريق الجديدة - المنطقة المتخاصمة مع منطقتي، بربور، على خلفيّات طائفية. أغلقت الدبّابات العسكرية الطريق المؤدّي إلى منطقته. شعرتُ بالقلق عندما رأيته ينزل من السيارة ويمشي مترنّحًا باتّجاه الدبّابات. هل أخذتُ القرار الحكيم؟ هل كان يجب علي أن أقلّه إلى مكانٍ أقرب إلى منزله؟ ولكن، إن فعلتُ ذلك، كيف سأتمكّن من مغاردة منطقته بأمان؟ اتّصلتُ به وأنا في طريق عودتي إلى منزلي لأتأكّد من أنّه وصل بالسلامة. وصل كلانا بأمان إلى منزله في تلك الليلة وغرقنا في النوم ونحن ثملان. لقد نجونا من قنبلة أخرى.

ترسم لنا هذه القصة الأشكال المختلفة لقراءة العنف وتقييمه. هذا العنف الذي جسّدته القنبلة التي استهدفت وسام الحسن في عام 2012. التمييز بين أصوات الانفجارات، إن كانت تشير إلى قنبلة مفجعة أو قنبلة عادية أو مجرّد ألعاب ناريّة، بالإضافة إلى تقييم إن كان شكل العنف المشهود غير معتاد وغير طبيعي أو أنّه مجرّد حادثة، أسئلة ترسم لنا القرارات المتعلّقة بأنشطتنا اليوميّة التي سنفكّر ما إذا يمكننا القيام بها كالمعتاد، أو أنّ علينا إيقافها والانسحاب من الفضاء العام إلى المنزل. تتطلّب هذه القراءات للعنف كمًّا هائلًا من الجهود لإنتاج المعلومات حول "الوضع" في لبنان، من قبل المجتمعات المحلّية والخبراء. كما ترسم أنواع المشاعر والمعاناة التي يسبّبها العنف الذي نعيش فيه. أشكال المعاناة والشفاء هذه لا تنظر إليها أسئلة البحوث الأكاديمية التي ترى أنّ هناك شكلًا واحدًا عالميًّا للمعاناة الناتجة من العنف.

على الإثنوغرافيا إعطاء المزيد من الاهتمام للتجارب الحسّية في أوقات العنف والصراع (Al-Masri 2017). تستند قراءة العنف في الحياة اليوميّة إلى قدرة حسّية عالية على التمييز، تسمح للمجتمعات بأن تعيش في العنف وتسكن واقعًا أصبحت فيه القنابل والانتحاريّون جزءًا من ظروف المُمكن والمحتمل (Vigh 2011). تكتسب هذه المعلومات أهمّيةً في لبنان خلال أوقات العنف، ليس فقط لمساهمتها في تحقيق هدف البقاء على قيد الحياة، ولكن أيضًا للمحافظة على سير الحياة اليوميّة. قراءة العنف وتقييم مستوى الخطر أصبحتا من المهامّ اليوميّة الصعبة خلال أيّام العنف الممتدّ عبر الزمن، وتكمن ممارستهما في

قدرة الشخص على التمييز بين التصرّفات الآمنة وغير الآمنة. يتطلّب الإنذار بإمكانيّة تحوّل نهار طبيعي إلى واقع مرير فجأةً، جهدًا كبيرًا للتمييز والفصل للتأقلم مع المعلومات المتغيّرة المتعلّقة "بالوضع" في لبنان. العيش في العنف هو حالة مستمرّة لإعادة الغوص وإعادة تقييم واقع اجتماعي يتأرجح بين الحالة التي تُرهب والحالة الطبيعيّة، وبين الخطر والأمان.

## الخاتمة

وُظِّفت كتابات إثنوغرافية مختلفة في هذا المقال من أجل وصف تجارب العيش في العنف في لبنان، سعيًا إلى لفت الانتباه إلى الطرائق المختلفة لقراءة العنف في الحياة اليوميّة، وتقييمه، خلافًا لتجارب مصادفة العنف. في حين أنّ التجربة الأخيرة ممثّلة بشكل سائد في خطابات وتصويرات العنف، فإنّ تجربة العيش في العنف تتطلّب فهمًا مختلفًا للعنف والمعاناة التي ينتجه. ينبغي على إثنوغرافيا العنف أن تبحث وتفسّر تجربة "العيش في" العنف، وفي الوقت عينه، أن تطرح تجارب مصادفة العنف كإشكاليّة يجب النظر فيها. ويجب أن يتطرق العمل الميداني حول العنف الى الممارسات المعرفيّة والسبل التي يُحتوى ويُنتج ويُفهم بها العنف كظاهرة هي جزء من الحياة اليومية أو كمُحدثة للصدمات النفسيّة. أجادلُ أنّ في ذلك طريقةً لإدماج الإنتاج المعرفي عن العنف مع التجارب التي أولتها الأنثروبولوجيا امتيازاتٍ باعتبارها مصدر فهمنا للمعاناة. قد تتيح الطريقة التي تجمع فيها الإثنوغرافيا الخطابات المتعدّدة مع تجارب العنف المجال لأطرٍ تحليليّة جديدة تتخطّى ثنائيّة الصدمة/الصمود التي عادةً ما تطغى على دراسات العنف عمومًا، وفي الشرق الأوسط خصوصًا. كما تظهر لنا هذه الطريقة وجوب طرح عمليّة التطبيع مع العنف أو التعامل معه كصدمة، في إشكاليّة جديدة، والتحقّق منها إثنوغرافيًّا.

## الملاحظات

[1] تمّ نشر نسخة أطول من هذه الورقة في المجلة الأكاديمية "Contemporary Levant" في أيار/مايو 2017 (المجلد الثاني، العدد الأول Contemporary Levant https://www.tandfonline.com/toc/ycol20/2/1)

[2] مع أن اسم المنطقة وحدودها الجغرافية موضوع نقاش قديم (انظر/ي على سبيل المثال بوني 2012)، ظهر من جديد هذا النقاش في مؤتمرات وورشات حديثة مثل ندوة "أي وسط، وشرق ماذا: جغرافيات جديدة للصراع" نظّمها وليد الحوري وسيماء أختر في معهد برلين للتحقيق الثقافي (2016)؛ وورشة "تنظير منهجية البحث في الشرق الأوسط،" نظّتمها هيلينا ناصيف في جامعة ماربورغ (2016)، والطاولة المستديرة عن "الوصول إلى وتعريف الميدان في الشرق الأوسط اليوم"، نظّمه قسم الشرق الأوسط لرابطة الأنثروبولوجيا الأمريكية (2016).

*** هذه الورقة نسخة مُعرّبة لورقة العمل المكتوبة باللغة الإنجليزية والصادرة عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعية في كانون الأول/ديسمبر 2018. للاطلاع على النسخة الإنجليزية، الرجاء مراجعة هذا الرابط.

ترجمة وتعريب: مايا العمّار | تنقيح لغوي: الياس قطّار

# المراجع

Achkar, Hicham. 2014. "Suicide Bombing in Lebanon 2013–2014." Mostly off. Accessed 16 March 2016. https://mostlyoff.files.wordpress.com/2014/03/suicide_bombing_lebanon_jan_feb_20141png.

Al-Masri, Muzna. 2017. "Sensory Reverberations: Rethinking the Temporal and Experiential Boundaries of War Ethnography." *Contemporary Levant* 2 (1): 37–48.

Biehl, João Guilherme, Byron Good, and Arthur Kleinman, eds. 2007. *Subjectivity: Ethnographic Investigations*. Ethnographic Studies in Subjectivity 7. Berkeley: University of California Press.

Biehl, João, and Amy Moran-Thomas. 2009. "Symptom: Subjectivities, Social Ills, Technologies." *Annual Review of Anthropology* 38 (1): 267–88.

Bonine, Michael, Abbas Amanat, and Michael Ezekiel Gasper. n.d. "Of Maps and Regions: Where Is the Geographer's Middle East?" In *Is There a Middle East?: The Evolution of a Geopolitical Concept*. Stanford University Press.

Butler, Judith. 2009. *Frames of War: When Is Life Grievable?* London; New York: Verso.

Daniel, E. Valentine. 1996. *Charred Lullabies: Chapters in an Anthropography of Violence*. Princeton Studies in Culture/Power/History. Princeton, N.J: Princeton University Press.

Das, Veena, and Stanley Cavell. 2008a. *Life and Words: Violence and the Descent into the Ordinary*. Nachdr. Berkeley, California: University of California Press.

———. 2008b. *Life and Words: Violence and the Descent into the Ordinary*. Nachdr. Berkeley, California: University of California Press.

Dewachi, Omar. 2015. "When Wounds Travel." *Medicine Anthropology Theory | An Open-Access Journal in the Anthropology of Health, Illness, and Medicine* 2 (3): 61.

Fisk, Robert. 2001. *Pity the Nation: Lebanon at War*. 3rd edition. Oxford and New York: Oxford University Press.

Ghassem-Fachandi, Parvis, ed. 2009. *Violence: Ethnographic Encounters*. English ed. Encounters: Experience and Anthropological Knowledge Series. Oxford and New York: Berg Publishers.

Good, Mary-Jo DelVecchio, ed. 2008. *Postcolonial Disorders*. Berkeley: University of California Press.

Hacking, Ian. 2001. *Rewriting the Soul Multiple Personality and the Sciences of Memory.* Princeton: Princeton University Press.

Haugbolle, Sune. 2010. *War and Memory in Lebanon*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hermez, Sami Samir. 2017. *War Is Coming: Between Past and Future Violence in Lebanon*. 1st edition. The Ethnography of Political Violence. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Hinton, Alexander Laban. 2005. *Why Did They Kill? Cambodia in the Shadow of Genocide*. California Series in Public Anthropology 11. Berkeley: University of California Press.

Khalaf, Samir. 2002. *Civil and Uncivil Violence in Lebanon: A History of the Internationalization of Communal Contact*. The History and Society of the Modern Middle East. New York: Columbia University Press.

Khayyat, Munira. 2013. “A Landscape of War: On the Nature of Conflict in South Lebanon.” Dissertation Thesis, Columbia University.

Moghnieh, Lamia. 2016. “Humanitarian Psychology in War and Postwar Lebanon: Violence, Therapy and Suffering.” Dissertation thesis, University of Michigan.

Nordstrom, Carolyn, and Antonius C. G. M. Robben, eds. 1995. *Fieldwork under Fire: Contemporary Studies of Violence and Survival*. Berkeley: University of California Press.

Nuwayhid, Iman, Huda Zurayk, Rouham Yamout, and Chadi S. Cortas. 2011. “Summer 2006 War on Lebanon: A Lesson in Community Resilience.” *Global Public Health* 6 (5): 505–19.

Raphael, Beverley, and Sally Wooding. 2004. “Debriefing: Its Evolution and Current Status.” *Psychiatric Clinics of North America* 27 (3): 407–23.

Scheper-Hughes, Nancy. 2009. *Death without Weeping: The Violence of Everyday Life in Brazil*. Nachdr. Berkeley: University of California Press.

Summerfield, Derek. 1999. “A Critique of Seven Assumptions behind Psychological Trauma Programmes in War-Affected Areas.” *Social Science & Medicine (1982)* 48 (10): 1449–62.

Thiranagama, Sharika. 2011. *In My Mother’s House: Civil War in Sri Lanka*. The Ethnography of Political Violence. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Vigh, Henrik. 2011. “Vigilance: On Conflict, Social Invisibility, and Negative Potentiality.” *Social Analysis* 55 (3).

Volk, Lucia. 2010. *Memorials and Martyrs in Modern Lebanon*. Public Cultures of the Middle East and North Africa. Bloomington: Indiana University Press.